مجلة جامعة الملك خالد
للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد الخامس

العدد الثاني (أبريل 2024م)

جامعة الملك خالد

King Khalid University

P-ISSN 1658-872X
E-ISSN 1658-8568
رقم الإيداع: 1442/3597

مجلة جامعة الملك خالد
للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

رئيس التحرير: أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

مدير التحرير: أ.د. عبد العزيز محمد رمضان

هيئة التحرير: أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد

أ.د. نايف بن علي السنيد الشراري

د. علي بن عوض آل قطب عسيري

د. نعمة حسن محمد البكر

الهيئة الاستشارية: معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري (جامعة الجوف سابقًا)

معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر (جامعة الحدود الشمالية سابقًا)

أ.د. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش (جامعة أم القرى)

أ.د. عبد العزيز بن صالح الهلابي (جامعة الملك سعود)

أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب (جامعة الملك سعود)

أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي (جامعة بيشة)

أ.د. عبد العزيز بن راشد السنيدي (جامعة القصيم)

أ.د. غيثان بن علي جريس (جامعة الملك خالد)

أ.د. محمد بن منصور حاوي (جامعة الملك خالد)

المراسلات:

- تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: 072289241، هاتف 072289241، بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

- تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة https://itcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals/، وفق الشروط الآتية: -
- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و(16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

المحتويات..... ز
تصدير العدد ..... **ط**

البحوث

- **خالد بن علي النجمي**: تاريخ الموحدين بالمغرب والأندلس عند ابن الأثير الجزري في كتابه "الكامل في التاريخ". دراسة نقدية مقارنة بالمصادر الموحدية **1-37**
- **أحلام سلمان علي الجنابي**: النفقات والأرزاق في الهند عصر سلطنة دهلي (603-689هـ/ 1206-1290م) **39-64**
- **محمد بن علي السكاكر؛ نوفة بنت لاحق العنزي**: علاقة الشريف الحسين بن علي بالاتحاديين وأثرها على الأمن في مكة المكرمة (1326-1334هـ/ 1908-1916م) **67-85**

تصدير العدد

يطيب لهيئة تحرير "مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية" أن تقدم للقارئ الكريم عددها الرابع عشر (العدد الثاني من المجلد الخامس/ أبريل 2024م) الذي يحوي بين جنباته بحوثًا تتسم بالعمق والجِدّة والأصالة، ولمجموعة متميزة من الباحثين المتخصصين في مختلف حقب التاريخ والمنتمين إلى جامعات المملكة العربية السعودية والعراق. ويُجسد هذا العدد عمل هيئة التحرير المستمر والدؤوب لتحقيق الرؤية والرسالة اللتين تطمح إلى تحقيقهما المجلة بهدف الارتقاء بها إلى مصاف المجلات العلمية المتميزة والمعتمدة في أفضل التصنيفات.

والتزامًا من هيئة التحرير للباحث والقارئ الكريم بمبدأ العمل المستمر في إصدار الأعداد؛ فإن العملَ جارٍ على تحكيم بحوث العدد الثالث من المجلد الخامس (يوليو 2024م) ومراجعتها تمهيدًا للنشر في الموعد المحدد.

وأخيرًا؛ تسعدُ هيئة تحرير المجلة بتلقي الملحوظات والمقترحات التي سوف تُسهم في تحسين إخراج المجلة ومحتواها، وتصل بها إلى ما ترتجيه من مكانة علمية عالمية مرموقة، وذلك على بريدها الإلكتروني: jhc@kku.edu.sa

رئيس التحرير

أ. د. أحمد بن يحيى آل فائع

أبحاث العدد

علاقة الشريف الحسين بن علي بالاتحاديين وأثرها على الأمن في مكة المكرمة (1326– 1334هـ/ 1908– 1916م)

أ.د. محمد بن علي السكاكر•
جامعة القصيم – السعودية

أ. نوفة بنت لاحق العنزي•
جامعة القصيم – السعودية

المستخلص: يتناول هذا البحث العلاقة بين الشريف الحسين بن علي، وبين أعضاء حزب الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية وأثره على الأمن في مكة المكرمة، مبتدئًا بتولي الشريف الحسين بن علي إمارة مكة عام 1326هـ/ 1908م، وما تلاها من أحداث متضاربة في الصراع بين الطرفين. ففي أول الأمر كان الحسين يتظاهر بالتعاطف مع الاتحاديين؛ لكسب تأييدهم له في المنافسة بينه وبين أبناء عمه على تولي إمارة مكة؛ ولما حصل له ما أراد، أخذ يناكفهم، ويعارض سياستهم التي يريدون تطبيقها في الحجاز وبخاصة: الحكم المركزي وإلغاء الامتيازات المخصصة للأشراف ولأهل مكة، كما عارضهم في مد سكة الحديد من المدينة المنورة إلى مكة، ومن جدة إلى مكة، وفي الوقت الذي كان كل منهما يظهر الود للآخر، فإنه كان يبطن عكس ذلك، ويتحين الفرصة للخلاص منه، وقد استمر الوضع على هذه الحالة حتى قامت الحرب العالمية الأولى 1332هـ/ 1914م، حيث انتهت العلاقة بين الشريف والاتحاديين باستقلال الحجاز عن الدولة العثمانية تحت حكم الشريف الحسين بن علي، ولا شك أن هذا الصراع بينهما قد أثر على تذبذب الأمن في مكة بين القوة والضعف، وبين الحفظ والانفلات.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية؛ الشريف الحسين بن علي؛ حزب الاتحاد والترقي؛ مكة المكرمة؛ الأمن.

The relationship of Sharif Hussain ibn Ali with the Committee of Union and Progress and its impact on security in Mecca (1326-1334 AH/1908-1916 AD)

Mohammed A. Alskakir
dr.mas1717@gmail.com
Qassim University – Saudi Arabia

Noufah L. J. Alanazi
411200363@qu.edu.sa
Qassim University – Saudi Arabia

Abstract: This study deals with the relationship between Sharif (King) Hussain bin Ali and the members of the Committee of Union and Progress in Ottoman Empire and its effect on security at Makkah. It begins with assuming King Hussain power in Makkah in 1326 A.H./1908 A.D. and the conflicting events that followed in the conflict between both parties. At first, King Hussain was pretending to sympathize with the federalists to gain their support in competing between him and his cousins to take over the Emirate of Makkah. When he got what he wanted, he began to quarrel with them and opposing their policies that they wanted to implement in the Hejaz, especially: The Central rule and abolishing the privileges allocated to Sheriffs and people of Makkah. He also opposed them in extending the railway from Madinah to Makkah and from Jeddah to Makkah. While each of them was showing friendliness to each other, they were hiding opposite and were looking for opportunity to get rid of each other. The situation continued like that until the first World War broke out in 1332 A.H./ 1914 A.D, at beginning of which, King Hussain declared his neutrality, while the Ottoman Empire sided with Germany and Austria. However, Britain was able to win King Hussain bin Ali to its side, who declared the revolution (the Arab Revolt) against the Ottoman Empire. Thus, the relationship between King Hussain and the federalists ended with the independence of Hejaz and became under the rule of king Hussain. There is no doubt that this conflict between them had its effect on security in Makkah between the strength and weakness, and between control and chaos.

Keywords: Ottoman Empire, Sharif Hussain ibn Ali, the Committee of Union and Progress, Mecca, Security.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه .. وبعد،

فإن دراسة العلاقة بين الأفراد أنفسهم، أو بينهم وبين منظمات، أو أحزاب، أو دول، أو الجمع بين بعضها، ستنعكس آثارها على ما حولهم: أرضًا وسكانًا. ويعد الشريف الحسين بن علي من أهم من مثل العلاقة بين الفرد وبين الحزب والدولة في آن واحد، لِما ظهر في عهد إمارته في مكة من متغيرات سياسية وأمنية، ففي الوقت الذي كان يظهر فيه معارضته للاتحاديين (حزب الاتحاد والترقي) في الدولة العثمانية، كان يظهر تأييده للسلطان العثماني، مستغلًا مكانة أسرته (الأشراف) في العالم الإسلامي، وامتيازاتهم لدى الدولة العثمانية في ترجيح كفته ضد الاتحاديين الذين يريدون تطبيق الدستور الجديد الذي فرضوه على السلطان عبد الحميد، في الولايات التابعة للدولة ومن ضمنها ولاية الحجاز، الذي كان ينعم بامتيازات خاصة، والدستور الجديد يدعو لإلغائها؛ لأن من أهم مواد الدستور الجديد: إلغاء جميع الامتيازات في الدولة العثمانية. ونظرًا لأهمية أثر هذا الصراع بين الطرفين على الأمن في مكة فقد رأى الباحثان كتابة دراسة علمية عن هذا الموضوع بعنوان: " أثر علاقة الشريف الحسين بن علي بالاتحاديين على الأمن في مكة المكرمة 1326–1334هـ/1908– 1916م".

وستتحدث هذه الدراسة عن كيفية تعيين الحسين بن علي أميرًا على مكة، ثم الجمع بين علاقته بالسلطان العثماني وبين الاتحاديين (حزب الاتحاد والترقي)، إما عن طريق المراسلات مع السلطان مباشرة، أو مع الصدر الأعظم، أو عن طريق تعامله مع الوالي العثماني في الحجاز، وأثر ذلك على الأمن في مكة المكرمة عند استقرار العلاقة، وعند اختلالها.

تولى الشريف الحسين بن علي[1] شرافة مكة عام (1326– 1334هـ/ 1908– 1916م) بفرمان أصدره السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن أقنعه الصدر الأعظم[2] بأن الشريف الحسين بن علي هو الشخص المناسب لتولى منصب شريف مكة المكرمة[3]، بعد خلاف قديم بين أسرتي: آل عون، وآل زيد حول تولي إمارة مكة[4].

كان الاتحاديون يرمون إلى تعيين أمير على مكة له قوة وشكيمة، وسياسة تمكنه من فرض نفوذه في الحجاز وتقوية سلطته عليه، من خلال تأمين طرق سير قوافل الحجاج والعمل على سكة حديد الحجاز، وكانت هذه المواصفات تتوفر في الشريف الحسين بن علي الذي قدم وعودًا كثيرة بطاعة السلطان، وتأييد سياسة الاتحاديين، والحفاظ على الحجاز من الأمراء الثائرين ومقاومتهم بالقوة، والعمل على مشروع سكة الحديد وحمايته من اعتداءات وغارات بعض القبائل[5].

وعندما سيطر أعضاء جمعية الاتحاد والترقي على البرلمان التركي وأصبحت الكلمة لهم، أرغموا السلطان عبد الحميد الثاني على إعادة العمل بالدستور، وتطبيقه في كافة الولايات العثمانية، ومن ضمنها ولاية الحجاز، في

الوقت نفسه الذي تولى فيه الشريف الحسين بن علي إمارة مكة، فأرسلوا له وفدًا عام 1326هـ/ 1908م؛ لتهنئته بإمارة مكة، وطلبوا منه العمل بالدستور، ولكنه رفض ذلك مؤكدًا أنه سيعمل بما عمل به أسلافه منذ عهد السلطان سليم الأول (918– 926هـ/ 1512– 1520م)، وأنه يأتمر بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، وسيعمل بالشريعة الإسلامية التي كانت عليها الدولة العثمانية. وكان رده هذا بمثابة الصاعقة على الاتحاديين(6). ومن هنا بدأ الخلاف بين الطرفين(7)، ولكن الصدر الأعظم استدرك الأمر فطمأن الشريف الحسين بأن الدستور الجديد لا يطبق على الحجاز(8).

لم يكتف الشريف الحسين بن علي برفض العمل بالدستور والتنكر للاتحاديين بل إنه رفض سياستهم وحاربها، حتى قضى على وجود زعماء منتسبيها في الحجاز، وأنهى نشاطهم(9). وكردة فعل من الاتحاديين فقد عملوا على إسقاطه وتشويهه مدعين عدم تمكنه من إدارة شؤون إمارة مكة والحفاظ على الحجاج، ولكن الشريف الحسين استطاع ـ لمعرفته بالاتحاديين وخبرته السياسية ـ التعامل معهم، وأن يفشل جميع ما أتهم به من قبلهم، وأن يقف ندًا لهم(10).

وهنا نتساءل كيف يقول الشريف الحسين بأنه يرفض الدستور ويتبع للسلطان عبد الحميد الثاني وسياسته؛ بينما السلطان عبد الحميد نفسه رضخ لمطالب الاتحاديين، ووافق على إعادة الدستور، كما عملت الدولة جميعها بمطالب الاتحاديين. والظاهر أن الشريف الحسين ـ خلال إقامته في إستانبول ـ كان قد شاهد التطورات الأخيرة التي وصلت إليها الدولة وما تعصف بها من أزمات سياسية واقتصادية، وما تمر به من اضطراب في شؤونها الداخلية (ثورات وحركات تمرد وانفصال في الولايات العثمانية)، وتدخل السفراء الأجانب من خلال قنصلياتهم، وكذلك كان على علم بمنهج الاتحاديين وخفاياهم وفرض سلطتهم على الولايات العثمانية قاطبة من ولاة ومتصرفين(11)، مما جعله يحسن أداءه لمهمته أميرًا في مكة في تعامله مع الاتحاديين، أو ولاتهم في جدة، وتأثير ذلك على أمن الحاج وغيرهم في مكة وما حولها.

ومع ذلك فقد أخذ الاتحاديون يتحينون الفرصة لإثبات عدم قدرة الشريف الحسين، على ضبط الأمن في مكة، فلم يجدوا أفضل من فرصة موسم الحج، وكانت أولى المشاكل التي واجهتهم غضب القبائل واعتراضها على وصول سكة الحديد إلى المدينة؛ لأنها ستؤثر على مواردهم المالية؛ بسبب انقطاع العائدات المالية عنهم، عندما تمر القوافل التجارية من جوارهم، وما يحصلون عليه من أجرة الجمالة ... وغيرها(12).

وقد تحدث نزاعات واشتباكات في مكة المكرمة بين أهلها، وبين الجنود العثمانيين، مثل ما حدث عام 1326هـ/ 1908م، ومع أن الشريف تمكن من القضاء عليها إلا أن ضررها وصل إلى الأحياء والأسواق، ثم تجددت في العام التالي ونتج عنها قتل عدد من أهل مكة، ومن الجنود العثمانيين(13). ويذكر البتنوني أحداثًا حصلت أثناء رحلته إلى الحجاز عام 1327هـ/ 1909م فيقول: "ويتخلف عن الحج كثير من أهل مكة ويقيمون فيها للمحافظة على دورهم من اللصوص الذين يكثرون في هذه الآونة فيقطعون ليلهم سهرًا بين

إطلاق بنادقهم من كل الجهات إعلانًا بأنهم يقضون لكل من قصدهم بسوء"[14]. ولا شك أن مثل هذه النزاعات تزيد شقة خلاف الشريف الحسين بن علي مع الدولة العثمانية ممثلة بحزب الاتحاد والترقي الذي يدير شؤونها الداخلية والخارجية، وانعكاس ذلك على الأمن في مكة الأمر الذي جعل الأهالي يتولون مهمة حماية ممتلكاتهم من اللصوص خلال هذه النزاعات.

ومن الوقائع التي حصلت للشريف الحسين بن علي في عام 1327هـ/ 1909م والتي أراد الاتحاديون إثبات صدق ادعائهم بضعف الشريف عن توفير الأمن للحجاج، إيعازهم لأمير الحج الشامي بأن يغير مسار عودة المحمل من الطريق البري من المدينة المنورة إلى الشام، إلى الطريق الساحلي من جدة حتى سواحل الشام، بحجة ضعف الأمن في الطريق البري، واعتداءات قطاع الطرق وبعض القبائل، ولكن الشريف الحسين عرف أن مقصدهم إثبات عدم قدرته على فرض الأمن وعجزه عن ذلك؛ ولما لم يستجب أمير المحمل لمعارضة الشريف له، بعث الشريف الحسين أخاه ناصرًا، وابنه عبد الله للسير مع المحمل والمحافظة على أمن الحجاج وإيصالهم دمشق سالمين. وبهذا أثبت للاتحاديين مدى قدرته على التعامل مع القبائل وعلاقته القوية بهم[15]؛ لأن القبائل الواقعة على طريق الحج كانت قد أعلنت ولاءها للشريف وطاعته، والتعهد له بالمحافظة على أمن الحجاج وتسهيل الطريق لهم[16].

لم يبق الشريف حسين بن علي مكتوف الأيدي، منتظرًا ما سيعمله الاتحاديون ضده –عندما ادعوا عدم تمكنه من تحقيق الأمن للحجاج والسيطرة على القبائل التي تعتدي بشكل مستمر عليهم– بل عمل على توطيد نفسه في الحجاز وإرساء الأمن[17]، والقضاء على كل ما يؤدي إلى الإخلال به[18]. فبدأ بإرساء الأمن داخل مكة، ثم اتجه للعمل خارجها، فاتخذ عدة سياسات تنوعت بين اللين والشدة والحكمة في محاولة لإرساء الأمن، وتوطيد صلاته بالقبائل الواقعة على طريق قوافل الحجاج، فقرب إليه شيوخ القبائل، كما قام بعدة أعمال حربية منها: أنه خرج لتأديب قبائل: هذان وبني الحارث؛ لاعتدائهم المستمر على الحجاج، وأرغمهم على دفع الزكاة، وقبيلة مطير التي هاجمت سكة حديد الحجاز اعتراضًا على وجودها، وقبيلتي سبيع والبقوم اللتين كانتا على حدود الحجاز، وأخيرًا قبيلة حرب؛ لاعتدائها على الحجاج ونشر الرعب بينهم، حيث غير الشريف الحسين طريق سير قوافل الحجاج المارة بأراضيهم، إلى طريق ينبع؛ لحرمانهم من الأموال التي تعطى لهم مقابل حماية الحجاج؛ فجاؤوا يعتذرون إليه، وتعهدوا له بحماية الحجاج والمحافظة على قوافلهم وأموالهم[19].

كما أخذ الشريف الحسين بن علي على عاتقه الاهتمام بإمارة مكة وشؤون المسجد الحرام وتأمين الحجاج، وطرق قوافلهم إلى مكة[20]، فعقد اجتماعات مع شيوخ القبائل من أجل أن يعملوا معه على تأمين الطرق وتسهيلها للحجاج لاسيما الطريق الرابط بين مكة والمدينة؛ لكثرة وجود القبائل على هذا الطريق الذين اعتاد بعضهم التعرض لقوافل الحجاج والاعتداء عليهم[21]، ولقوة علاقته بالقبائل التي عاش معها طفولته وشبابه، فقد تمكن من السيطرة عليهم، وكلف أخاه الشريف ناصرًا ليقوم بمسؤولية الحجاج وتأمينهم وتأمين طرقهم[22].

ومما يذكر من توفير الأمن في عهد الشريف الحسين بن علي ما ورد عند أحد الرحالة عام 1326هـ/ 1908م أثناء مروره من منى إلى مكة، حيث ذكر أنه رأى تسعة عشر لصًّا مقيدين، وقد ذُهب بهم إلى مكة لتطبيق الحد عليهم، فحكم على بعضهم بالإعدام، وعلى بعضهم الآخر بقطع أيديهم، وأن الشريف أمر بعدم مغادرة أحد من الحجاج من مكة إلى جدة لأن الجنود المرابطين بالحصون عادوا إلى مكة لمدة أسبوع، وأن خروجهم في هذا الوقت غير آمن وسيعرضهم للخطر، وهذا يؤكد حرص الشريف على تطبيق الأمن، وإظهاره الاحترازات الأمنية التي اتخذها لحماية الحجاج[23].

كما استغل موسم الحج واجتماع الحجاج من أقطار العالم العربي والإسلامي ليوضح أهداف سياسته ويبين زيف، وأخطاء، وخطر الاتحاديين المسيطرين على زمام الدولة العثمانية، ويوضح أهدافه وسياسته التي يسعى إلى تحقيقها من خلال منصبه أميرًا على مكة تحت أوامر سلطان الدولة العثمانية الذي نفذ أوامره بين عامي (1328– 1329هـ/ 1910– 1911م) وقاتل الخارجين عليه[24].

وبأعماله تلك أوصل رسالة للاتحاديين أنه على خلاف معهم فقط، بينما هو محافظ على ولائه للسلطان العثماني، ومتبع لسياسته في محاربة كل من يخرج على الدولة، أو ينفصل عنها[25]، من خلال كونه أميرًا يتلقى الفرمانات (المراسيم) من الصدر الأعظم، ويعمل على تنفيذ ما يطلبه الباب العالي[26].

علاقة الشريف الحسين بن علي مع ولاة الدولة العثمانية في الحجاز:

● الوالي كاظم باشا:

عمل الشريف الحسين بن علي مع الوالي كاظم باشا منذ توليه إمارة مكة المكرمة عام 1326هـ/ 1908م، وكانت العلاقة بينهما في بداية الأمر تتعلق بخدمة الحجاج وتوفير الأمن لهم، من منبع الالتزام الديني[27]، ثم بدأ الوالي كاظم باشا يقف في وجه الشريف الحسين بن علي ويحاول فرض سيطرته عليه –بوصفه واليًا– كما تدخل في شؤون الحجاج؛ وبسبب تراكم مشاكله مع الشريف الحسين وتأثيرها السلبي على أمن الحاج؛ فقد أدى ذلك إلى عزله عن الولاية[28].

وبذلك سحب الشريف الحسين بن علي الصلاحيات من الوالي في النظر بشؤون أهل مكة والحجاج فجعلهما له، وتركزت سلطة الوالي على موظفي الدولة فقط؛ وبذلك تولى الشريف زمام إدارة إمارته، فوطد صلاته مع الأهالي والحجاج، واستغل رعايتهم لكسب ودهم ضد الاتحاديين[29]. وعُين بعد الوالي كاظم باشا:

● الوالي فؤاد باشا:

لما تولى فؤاد باشا ولاية الحجاز، تكررت الخلافات مع الشريف، وخاصة بعد اتهامه للشريف الحسين بأنه يسعى لإعداد ثورة ضد الدولة العثمانية، فأرسل الشريف برقية يستنكر فيها تصرفات الوالي وأنه يسعى

لإحداث فتنة في الحجاز؛ فعُزل الوالي ونقل إلى الجيش السلطاني، حتى لا ينتقل أثر الخلاف بينهما إلى الحجاج؛ فيسلبهم الأمن الذي لا يجعلهم يؤدون مناسكهم بأمان واطمئنان[30]. ثم عُين بعده:

- **الوالي شوكت باشا:**

لم يكن الوالي شوكت باشا الذي عُين عام 1327هـ/ 1909م بأحسن حال من سابقيه؛ إذ لم يبق فترة طويلة في ولايته رغم ما عرف عنه من صفات حسنة، وقدرة على التعامل مع المشاكل التي تحصل في إمارة مكة، حيث عُزل في العام نفسه[31]. ثم عُين بعده:

- **الوالي كامل باشا:**

عُين الوالي كامل باشا عام 1328هـ/ 1910م، وهذا الوالي بالرغم من أنه كالولاة السابقين لم يبق فترة طويلة إلا أنه جاء وهو عازم على تطبيق سياسة الاتحاديين المركزية والوقوف بالند ضد الشريف الحسين بن علي، وبعدما رأى مكانة الشريف بين رعاياه في مكة ومدى تمركز سلطته في يده؛ زاد عداؤه للشريف مما استدعى عزله، وقيل: إنه لم يقدر على القيام بمهام الولاية لظروفه الصحية؛ ولهذا طلب إعفاءه في العام نفسه[32]، ثم عُين بعده:-

- **الوالي المشير عبد الله باشا:**

عند توليه إدارة ولاية الحجاز كان الشريف الحسين منشغلًا بحروبه مع الملك عبد العزيز آل سعود في نجد، وكان ابنه عبد الله نائبًا عنه في إمارة مكة[33]، كما وصل للاتحاديين أن هناك اتصالات بين الشريف الحسين والإنجليز، فكلفوا المشير ليتولى مهمة إضعاف الحسين والحد من نفوذه وطموحه، ولكنه لم يؤد مهامه كما طلب منه فعزل[34]. ومن أهم الأحداث التي تدل على ضعفه: هجوم الحجاج في حج عام 1328هـ/ 1910م على مقر إدارة ميناء جدة واعتداؤهم على موظفيه، على الرغم من وجود رجال الأمن[35].

وتجدر الإشارة إلى أنه في عهد هذا الوالي ساءت علاقة الاتحاديين مع شريف مكة أكثر، فقام الاتحاديون بإجراءات تمس ولاية الحجاز، وتعارض مصلحة الشريف الحسين بن علي، ومن أهمها: فصل المدينة المنورة عن مكة المكرمة؛ لتكون المدينة المنورة ولاية مستقلة عن إمارة الشريف وتابعة للآستانة مباشرة، كما تم تغيير محافظ المدينة إلى متصرف الولاية في المدينة المنورة، واعتبرت المدينة المنورة مثل غيرها من الولايات، فألغي عنها الامتيازات. ولكون عبد الله بن الحسين وكيلاً عن والده على إمارة مكة، فقد وجه رسالة إلى الصدر الأعظم عن طريق كامل باشا والي الحجاز يعرب فيها عن استغرابه في اتخاذ مثل هذا الإجراء، ويستفسر عن حدود إمارة والده لفرض الأمن فيها، وبرر الصدر الأعظم ذلك بأن على الشريف مسؤولية ضبط الأمن في مكة المكرمة والطريق الرابط بين مكة والمدينة، وحماية الحجاج وقوافلهم من الاعتداءات أثناء سيرهم في ذهابهم وإيابهم بين المدينة المنورة ومكة المكرمة، وحماية الأماكن المقدسة في مكة من العابثين، وأن فصل المدينة المنورة

عن إمارة مكة هو: بسبب مد سكة حديد الحجاز وخطوط التلغراف ليسهل التواصل بينهم وبين متصرف المدينة المنورة[36]. وهكذا أصبح الشريف الحسين بن علي مسؤولًا عن حجاج مكة فقط أما زوار المسجد النبوي فهي من مهام متصرف المدينة.

ويظهر من رد الصدر الأعظم أنه يريد تطبيق نظام الحكم المركزي في الولايات العثمانية، وخاصة الحجاز، وإن كان بالتدريج[37]، وكذلك لتأكيد موضوع مد سكة حديد الحجاز، وأن الدولة سائرة العمل فيه؛ لعلم الصدر الأعظم برفض الشريف الحسين للسكة وعدم رغبته في وصولها للحجاز.

أثر الحرب العثمانية الإيطالية على العلاقات بين الشريف الحسين بن علي والاتحاديين[38]:

بعد عزل الوالي المشير عبد الله باشا عن ولاية مكة عام 1329هـ/ 1911م، عُين حازم بك في العام نفسه، وفي عهده حدثت الحرب العثمانية الإيطالية حول ميناء طرابلس الغرب (ليبيا)، التي ظهر فيها ضعف الدولة العثمانية، وشجعت الشريف الحسين بن علي على زيادة الوقوف في وجه الاتحاديين؛ لاعتقاده أن هذه الحرب ستمنعهم من فتح جبهة جديدة ضده.

فقد تعرضت الموانئ الحجازية قبيل الحرب العالمية الأولى لنشاط كبير من قبل البواخر الحربية الإيطالية؛ بسبب حربها مع الدولة العثمانية، وغزوها ليبيا في عام 1329هـ/ 1911م، لانتزاعها منها، ودفعت هذه الحرب، الدولة العثمانية إلى اللجوء للصلح مع إمام اليمن؛ لكي تتفرغ لحربها ضد إيطاليا، إن نقلت صراعها إلى البحر الأحمر[39]، وهو ما حدث فعلًا، عندما رست سفينة حربية إيطالية بميناء العقبة في ذي القعدة 1329هـ/ نوفمبر 1911م ، فاعترضت طريقها باخرة عثمانية وتبادلا إطلاق النيران، وقُتل القبطان الثاني في الباخرة العثمانية أثناء خروجه إلى الساحل، ثم عادت السفينة الإيطالية . بعد أن أطلقت نيرانها على بعض المراكز العسكرية العثمانية القريبة من ميناء العقبة . أدراجها من حيث أتت[40].

وفي الشهر نفسه رست سفينتان إيطاليتان قريبًا من جدة، وأخذتا تفتّشان البواخر في هذه المنطقة؛ ولذلك رأت الدولة العثمانية اتخاذ جميع الوسائل للدفاع عن جدة في ظل احتمالية امتداد الحرب الليبية لتصل إلى البحر الأحمر[41]، كما صدرت الأوامر إلى والي جدة للمحافظة على القنصليات والرعايا الأجانب الموجودين فيها[42].

أما الشريف الحسين بن علي فقد رأى أن من الأفضل التواصل مع الدول العظمى للحيلولة دون وقوع أحداث تتسبب باضطراب الأمن في الحجاز، كما صدرت الأوامر لمتصرف جدة لأخذ التدابير اللازمة لحماية القنصليات الأجنبية والرعايا الأجانب[43]؛ وذلك لتأكيد نفوذه بحرصه على المحافظة على استقرار الأوضاع في جدة[44].

ويظهر أن السفن الإيطالية واصلت تهديدها لموانئ الحجاز، فقد ورد في برقية من قائمقامية الوجه في 20 ذي القعدة 1329هـ/ 11 نوفمبر 1911م، أن هناك سفينة حربية إيطالية تتجوّل بالقرب من ميناء الوجه، وأنها سببت الخوف في أهالي الوجه، بل إن النساء والأطفال هربوا خارج المدينة[45].

وفي محرم 1330هـ/ يناير 1912م وصلت سفينة حربية إيطالية ميناء جدة وتوقفت فيه، ثم تلتها سفينة أخرى، فباتا ليلة داخل الميناء وفي الصباح غادرتا باتجاه الجنوب[46]؛ ولخوف الدولة العثمانية من تعرض سفنها في ميناء القنفذة للهجوم عليها من هاتين السفينتين الإيطاليتين، فقد تواصلت مع قيادة البحر الأحمر في تلك المنطقة لتكون على أتم الاستعداد للدفاع عن الميناء[47].

وفي ربيع الأول 1330هـ/ مارس 1912م اعترضت سفينة إيطالية، الباخرة الخديوية التي تحمل البريد من مصر قرب ميناء جدة، فقامت بتفتيشها متجاوزة أحد قرارات مؤتمر الصلح بلاهاي لسنة 1325هـ/1907م الذي ينص على عدم التعرض لسفن البريد التابعة لدول محايدة أو مشاركة بالحرب[48].

كما قدمت في جمادى الأولى 1330هـ/ أبريل 1912م سفينة حربية إيطالية إلى ميناء رابغ، ولكنها لم تعتد عليه، فأرسل أمير رابغ برقية إلى إمارة مكة يخبرها بأمر هذه السفينة[49].

ومن المرجح أن تهديد السفن الإيطالية لموانئ الحجاز، قد بعث الاطمئنان للشريف الحسين بن علي، بأن الاتحاديين لن يفتحوا جبهة جديدة معه، فربما يتعاون مع إيطاليا لطرد الدولة العثمانية من الحجاز، بل إنها شجعته أكثر ليقف في وجه الاتحاديين ويؤكد معارضته لقانون الولايات الذي ستعلن عنه الدولة العثمانية في عام 1331هـ/ 1913م.

وعلى أية حال ففي ظل هذه الأحداث مع ازدياد الخلافات بين الوالي العثماني حازم بك، وبين الشريف الحسين، وزيادة شكاوى الشريف إلى الصدر الأعظم ضد هذا الوالي، فقد تم عزله[50]. ومنذ عام 1330هـ/1912م، حتى إعلان الشريف الحسين بن علي ثورته على الدولة العثمانية بمساعدة الإنجليز عام 1334هـ/1916م، تعاقب على ولاية الحجاز عدة ولاة، وتختلف مدة حكم كل منهم بين عدة أشهر إلى سنة[51].

وتجدر الإشارة إلى أن الخلاف بين الاتحاديين والشريف الحسين لم يكن من أجل سكة حديد الحجاز فقط، بل إنه تعمق أكثر وزادت حدته عندما صدر قانون الولايات عام 1331هـ/ 1913م، الذي جعل للوالي صلاحيات سحبت البساط من الشريف الحسين، وفرضت الإدارة المركزية في الحجاز[52]، ومنحت الوالي سلطة تنفيذية وإدارية داخل إمارة الشريف في مكة، وقوة عسكرية لفرض قانون الولايات والحكم المركزي، مكونة من سبع كتائب مشاة مجهزين بعدتهم وعتادهم؛ وذلك لتصير مكة مثل غيرها من الولايات العثمانية، فتلغى عنها الامتيازات التي اختصت بها منذ انضمامها للدولة العثمانية، مثل: الإعفاء من الضرائب والتجنيد الإجباري[53].

كما نلاحظ أن تغيير الولاة بهذه السرعة قد أعاد مشكلة الخلاف التاريخي القديم المتجدد بين الولاة والأشراف، وبخاصة بعد أن أصبح الشريف يمثل قوة يخاف منها الاتحاديون الذين لم يرغبوا في فتح جبهة جديدة مع الشريف الحسين بن علي وإثارته بتطبيق السياسة المركزية؛ لأن الدولة العثمانية كانت في ذلك الوقت على مشارف حرب عالمية، وبالتالي فإن هذه الخلافات الداخلية، وقوة الولايات –ومنها ولاية الحجاز التي تشكل القوة الدينية والمعنوية والسياسية للدولة العثمانية– قد تضعف الدولة؛ ولهذا حاولت إنهاء نظام الشرافة، وتغيير النظام المتبع في الحجاز، وإنهاء الامتيازات التي أعطيت لهم كما فعلت بالمدينة المنورة دون إعلان العداوة ضدهم كي لا تكون عندهم القوة التي يتجرؤون فيها بإعلان انفصالهم عن الدولة العثمانية[54].

أما الشريف الحسين بن علي فإنه لما تأكد له سوء نية الاتحاديين؛ فقد تودد لأهل مكة ومن قدم إليها حاجًا أو معتمرًا بتحسين العلاقة معهم، كما دفعه ذلك إلى إجراء اتصالاته مع الإنجليز[55]. وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى 1332–1337هـ/ 1914–1918م إلى جانب ألمانيا والنمسا، تردد العرب بين مؤيد لها بدافع من الارتباط الديني معها، ومعارض لها بدافع من التيار القومي مفضلًا البحث عن أفضل السبل لتحقيق الأماني العربية بالاستقلال[56]، وقد التقت آمال الشريف الحسين بن علي مع أصحاب التوجه الثاني فسعى للاتصال بهم والتواصل معهم، ثم أعلن خروجه على الدولة العثمانية عام 1334هـ/ 1916م[57].

أثر الصدام بين الاتحاديين والشريف الحسين على الأمن في مكة:

عندما رأى الشريف الحسين بن علي أن الاتحاديين يسعون إلى جعل مكة المكرمة ـ بعد فصلها عن المدينة المنورة ـ مثل غيرها من ولايات الدولة العثمانية فتنزع عنها الامتيازات التي كانت مخصصة لها، قرر أن يصمد أمام محاولاتهم فَرْضَ سياستهم على الحجاز، وتغاضى عن ضبط الأمن بعد أن بدأ يضطرب، لاسيما بعد بدء تنفيذ سكة حديد الحجاز ورفض القبائل لوجودها[58].

وقد بدأ الصدام الفعلي بين الاتحاديين والشريف الحسين ـ تحديدًا ـ بعد ظهور فكرة المركزية والعمل بالدستور الجديد، وهما ما نادى بهما الاتحاديون وعملوا من أجلهما، بالإضافة إلى أن الشريف الحسين بن علي كان يعلم أن الاتحاديين يريدونه تابعًا لهم؛ لذلك سار بسياسته منفردًا عن سياسة الدولة التي أرادها الاتحاديون خاصة لدى أتباعهم الموجودين في مكة المكرمة، في أنه لن يتنازل عن سياسته التي عاهد عليها وعمل بها من سبقه من أمراء مكة؛ لعلمه أن الاتحاديين أرغموا السلطان، ويريدون أن يرغموه على تنفيذ السياسة التي يخططون لها، فعارض ما طلبه الاتحاديون، وحدَّ من تدخلهم، وسعى لتثبيت مركزه في مكة المكرمة خاصة، والحجاز بشكل عام[59]، وكان خلعهم للسلطان عبد الحميد الثاني عام 1327هـ/ 1909م، ـ الذي كان الشريف الحسين يثني عليه كثيرًا ـ من ضمن أسباب الصدام بينهما، حتى إعلانه ثورته ضد الدولة العثمانية عام 1334هـ/ 1916م[60].

وفي عام 1330هـ/ 1913م عمل الاتحاديون على إكمال سكة حديد الحجاز من المدينة إلى مكة لإضعاف نفوذ الأشراف، وهذا ما تنبه له الشريف، واعترض عليه، فكان ذلك إيذانًا بقرب الصدام بينه وبين الاتحاديين؛ لأنه يعتقد أن هذا الخط سيسرع في إرسال القوات لمحاربته، وفرض قانون الولايات على الحجاز، وبالتالي سيتضرر سكان الحجاز وتنقطع عنهم الامتيازات التي أعطيت لهم، كما سيتضرر المستفيدون من خدمة الحجاج؛ لهذا ماطل في موافقته على تنفيذ المشروع من المدينة إلى مكة، ومن جدة إلى مكة، حتى قامت الحرب العالمية الأولى 1332هـ/ 1914م[61].

أرسل الباب العالي للشريف الحسين يستفسر عن سبب اعتراضه إكمال مد سكة خط الحديد من المدينة إلى مكة وجدة، وما شروطه التي يطالب بها في حالة تنازله عن معارضته لمد السكة؟ فكان أهم ما اشترطه الشريف هو: أن تتحمل الدولة ممثلة بالاتحاديين بدفع التعويضات عن الخسائر التي ستلحق بأصحاب الجمال التي يستأجرونها للحجاج، وأن تكون له صلاحيات ونفوذ على سكة الحديد[62].

وعندما علم الاتحاديون بقوة الشريف الحسين الشعبية وتأييد الناس له، ازدادت شكوكهم بالشريف، خاصة بعد حرب البلقان 1330هـ/ 1912م، فرغبوا بإلغاء الشرافة في الحجاز وبالتالي القضاء على قوة الشريف[63]، وكان تعيين الوالي وهيب باشا[64] في عام (1331هـ/ 1913م) وحتى عام (1334هـ/ 1916م) واليًا على الحجاز شرارة الصراع الفعلي بين الاتحاديين والشريف الحسين بن علي[65].

كان الاتحاديون يرون أن من أهم فوائد الدستور ـ الذي يريدون تطبيقه في الحجاز ـ فرض الضرائب على أهل مكة، والحجاج[66]؛ لذا كُلف الوالي وهيب باشا بالعمل على إكمال الخط الحديدي بين مكة والمدينة، والتدخل في شؤون مكة الداخلية وشؤون القبائل، وجمع الأموال من الناس بالقوة لعمل السكة، ومحاولة إلغاء الامتيازات عن أهل مكة التي كانوا يتمتعون بها، سواء أكانت الأعطيات المالية، أم إعفاءهم من التجنيد الإجباري، وفرض قانون الولايات الجديد في الحجاز. ولما كان للشريف الحسين سلطة قوية وعلاقة ودية بالقبائل الحجازية التي كانت تأتمر بأمره، فقد أخذ يحرضهم على عدم الاستجابة للوالي، وعدم الرضوخ له وللعساكر التي معه، والاعتداء عليه وعلى مقر إقامته في جدة؛ مما كان سببًا في انتشار الفوضى والاضطرابات والقتل بين سكان مكة والقبائل التابعة لها، وبين القوات العثمانية المصاحبة للوالي وهيب باشا، والهجوم على نقاطها العسكرية بين مكة، وجدة، والمدينة[67].

اضطربت الأحوال الداخلية لمكة المكرمة بين أهالي مكة تحت زعامة الشريف الحسين بن علي وبين القوات العثمانية تحت لواء الوالي وهيب باشا، وتضرر السكان بعد المظاهرات والعصيان اللذين حدثا ضد الوالي عندما بدأ بالعمل على إيقاف الامتيازات الخاصة بأهل الحجاز، وما جرى من نتائج هذه الفتنة من: انتشار للفوضى والسلب والنهب من قبل قطاع الطرق الذين استغلوا هذه الأحداث، وعدم تمكن الوالي وهيب باشا من السيطرة عليهم[68].

فقد تم الاعتداء على قافلة تجارية قدمت من ميناء جدة إلى مكة، وسلب ما معها، فتوجه التجار للشريف الحسين يطالبون بالتدخل لاستعادتها ممن صادرها واعتدى عليها، وبالفعل طلب الشريف الحسين من المعتدين رد ما سلبوه، فاستجاب له كثير منهم، وبهذا أوصل الشريف الحسين بن علي رسالة للوالي عن مدى قوة سلطته على القبائل وأصحاب الجمال، وعدم قدرة الوالي على بسط الأمن في ولايته[69].

وأمام رفض سكان مكة الإجراءات التي اتخذها الوالي وهيب باشا، فقد طلب الوالي من حكومته إرسال قوات إضافية؛ لاستخدامها ضد الشريف وإزاحته عن إمارة مكة، ورغم مراسلات الوالي المتكررة لطلبه إرسال قوة عسكرية؛ إلا أن الصدر الأعظم رفض استخدام القوة وقرر مهادنة الشريف الحسين حتى تحين الفرصة لعزله، ثم أرسلت الدولة في عام 1333هـ/ 1914م فرمانًا قرئ في المسجد الحرام يلبي مطالب السكان بالإبقاء على الامتيازات الممنوحة لهم، وإيقاف العمل بمد خط سكة الحديد بين المدينة ومكة[70].

ولما لم ينجح الاتحاديون باستخدام القوة مع الشريف لصعوبة تنفيذها ضد مكة المكرمة؛ ـ لما لها من مكانة مقدسة عند المسلمين ـ، رأت الدولة العثمانية استخدام الحوار والمصالحة مع الشريف الحسين بن علي لإقناعه بمد خط سكة الحديد، فعرضوا موضوعه في الدورة الأولى لمجلس المبعوثان مطلع عام 1333هـ/ 1914م وحضر الشريف عبد الله بن الحسين هذا المجلس نيابة عن والده، وعرض عليه وزير الداخلية رغبتهم في تنفيذ سكة الحديد من المدينة إلى مكة، ومن جدة إلى مكة، ومن ينبع إلى المدينة، متعهدين له بثلث دخل الخط، وأن تكون الإمارة له ولأولاده من بعده، وأن يعطى مبلغًا ليوزعه على القبائل، وألا يعزل ويعين منافسه الشريف علي بن حيدر. ولما عرض الشريف عبد الله الموضوع على والده وما تعهدت به الدولة له، وافق لتحقق المصلحة العامة لأهل مكة من حاضرة وبادية، ثم عاد الشريف عبد لله إلى إستانبول ليبلغهم بموافقة والده، مع شرط أن تكون هناك لجنة يرأسها الشريف الحسين بن علي، ويتكون أعضاؤها من عدة علماء من المسلمين؛ إلا أن دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى (1332- 1337هـ/ 1914- 1918م) قد أجل مناقشة موضوع السكة، وطلب الصدر الأعظم من الشريف عبد الله أثناء وجوده في إستانبول أن يجمع المتطوعين للقتال ضد الإنجليز، طالبًا منه أن يخبر والده بأن عليه واجب إعلان الجهاد (المقدس) مع الدولة العثمانية، ولكن الشريف الحسين قرر الوقوف على الحياد، ثم طلب عام 1333هـ/ 1915م الموافقة على استقلال إقليم الحجاز من تبوك شمالًا حتى مكة المكرمة جنوبًا، وأن يكون حكم الحجاز له ولأبنائه من بعده، فلم تجبه على طلبه، ثم أعاد تقديم عرضه عام 1334هـ/ 1916م، ولكن الدولة العثمانية رفضت طلبه أيضًا؛ لأن الحجاز يمثل لها سيادتها الدينية على المسلمين، الذي سيكون سببًا في ولائهم لها، والوقوف إلى جانبها في هذه الحرب، واعتذروا للشريف بأن جهودهم في الوقت الراهن مسخرة للعمليات الحربية[71].

كان موقف الشريف الحسين عندما قامت الحرب العالمية الأولى إما الوقوف مع الدولة العثمانية التي يمثلها الاتحاديون (أعداؤه)، والتي أعلنت وقوفها مع دول المحور (ألمانيا وحلفاؤها)، وإما أن ينأى بالحجاز عن الحرب

ويحمي المقدسات الإسلامية من تبعاتها؛ فيقف على الحياد، فقرر الحياد في بداية الأمر ربما لينظر في نتيجة اتصالات ابنه مع الانجليز ـ المعروفة باسم: "مراسلات الحسين مكماهون 1334هـ/ 1915م"[72]، التي حصل من خلالها على وعد بوقوف الإنجليز معه، ودعمه بالسلاح، والاعتراف باستقلال البلاد العربية تحت حكمه[73]، ثم أعلن الشريف الحسين ثورته العربية الكبرى ضد الدولة العثمانية عام 1334هـ/ 1916م[74].

وختاما يمكننا القول: إن السياسة التي انتهجها الاتحاديون في ولايات الدولة العثمانية وخاصة المركزية الإدارية والحد من طموح الشريف الحسين وتقليص سلطته، وإلغاء الامتيازات التي كانت مقررة لأهل الحجاز؛ كانت سببًا للخلافات التي حصلت بينهم وبين الشريف الحسين الذي كان يعمل من أجل تثبيت حكمه؛ مما حدا به للاتصال بالإنجليز لدعمه بالاستقلال وإعلان مملكته العربية بعيدًا عن الاتحاديين[75]، فاستغل انشغال الاتحاديين بالحرب[76]، وانصرافهم عن موضوع حماية الحجاج وأمنهم في مكة المكرمة، وفي طرقهم إليها لإعلان ثورته العربية[77].

وتجدر الإشارة إلى أن إرساء الأمن في الحجاز في عهد الشريف الحسين بن علي كان مقتصرًا على مكة والمشاعر المقدسة وما حولها حتى جدة[78]، أما الطريق إلى المدينة المنورة وما حولها لاسيما بعد فصلها عن مكة المكرمة فقد كان الحجاج لا يسلمون من الاعتداء عليهم وسلب أموالهم بحجة أنها ضرائب تؤخذ من الدولة عن طريق الحجاج، كما لوحظ على الشريف الحسين أنه يستخدم أحيانًا سياسة الصرامة مع القبائل الواقعة على طريق قوافل الحجاج، وأحيانًا أخرى سياسة اللين، بتطبيق العقوبات على من يعتدي على الحجاج تارة، وبكسب ولاء شيوخ القبائل بالأموال تارة أخرى[79].

وأخيرًا فإن ازدواجية الإدارة السياسية في الحجاز، بين الوالي والشريف، وعدم معرفة كل طرف بما له وما عليه من مهام إدارية كانت سببًا في تداخل الصلاحيات فيما بينهم وانشغال كل منهم بالآخر عن مهامه الرئيسة، ومن أهمها: حفظ الأمن وإرساؤه؛ مما ساهم في اختلال الأمن، وانتشار القضايا الأمنية والجنائية من سلب ونهب وقتل للحجاج.

الخاتمة:

في الختام نعرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ومنها:

- أوضحت الدراسة أن علاقة الشريف الحسين مع الاتحاديين كانت في معظمها علاقة عدائية، في الوقت الذي كان فيه الشريف يعلن التزامه بالسمع والطاعة للسلطان العثماني، وأنه قام بتأديب الخارجين عليه، فأثر ذلك على أمن الحاج بين الهدوء النسبي وبين وقوع حالات من النهب والسلب لهم.
- بينت الدراسة أن الحرب العثمانية الإيطالية عام 1329هـ/ 1911م حول ليبيا، قد شجعت الحسين بن علي على مواصلة معارضته للاتحاديين؛ لاعتقاده أن هذه الحرب ستحول بين الاتحاديين وبين شن هجوم عليه وعزله عن إمارته في مكة.

- أثبتت الدراسة أن الدستور الجديد الذي فرضه الاتحاديون على السلطان العثماني كان محل الخلاف بينهم وبين الشريف الحسين بن علي؛ لأن من مواده: مادة تلغي جميع الامتيازات في الدولة العثمانية، بما فيها امتيازات الأشراف خاصة، وأهل مكة عامة، وأن هذا الخلاف كان سببًا في اتهام الاتحاديين للشريف الحسين بعدم قدرته المحافظة على أمن الحاج، وأن الشريف قطع عليهم هذا الطريق عندما حقق أمن قافلة الحج الشامي ـ التي كان يدعي قائدها عدم ضمان أمن القافلة إن سارت عن طريق البر ـ بإرسال من يصحبها حتى وصولها إلى الشام بأمان.
- أوضحت الدراسة أن علاقة الشريف بالولاة العثمانيين على الحجاز لم تكن ـ غالبًا ـ ودية، حيث كان انتماؤهم لحزب الاتحاد والترقي، بينما كانت علاقة الشريف متوترة مع هذا الحزب حتى إعلانه استقلال الحجاز عن الدولة العثمانية.
- بينت الدراسة أن سوء علاقة الشريف بالاتحاديين كانت سببًا مباشرًا لخروجه على الدولة العثمانية بعد دخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا، وإعلانه استقلال الحجاز عنها بمساعدة الإنجليز الذين أمدوه بالمال والسلاح.
- أثبتت الدراسة أن إرساء الأمن في الحجاز في عهد الشريف الحسين بن علي كان مقتصرًا على مكة والمشاعر المقدسة وما حولها حتى جدة، كما أن علاقته بالاتحاديين وولاتهم في جدة قد أثرت ـ غالبًا ـ سلبًا على أمن أهل مكة ومن قصدهم من حجاج بيت الله الحرام، في الوقت الذي كان فيه الشريف الحسين يسعي جاهدًا لبسط الأمن، من خلال سعيه لكسب زعماء القبائل إلى جانبه؛ ليكونوا عونًا له في كف أتباعهم عن الاعتداء على الحجاج الذي نجح فيه إلى حد كبير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

حواشي البحث:

- أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ والآثار، كلية اللغات والعلوم الإنسانية.
- طالبة دكتوراة بقسم التاريخ والآثار، كلية اللغات والعلوم الإنسانية.

(1) الحسين بن علي: بن محمد بن عبد المعين بن عون ولد بالآستانة عام 1270هـ/ 1853م، وانتقل إلى مكة المكرمة. أثناء إمارة جده الشريف محمد بن عون، عندما كان عمره ثلاث سنوات، وتلقى تعليمه فيها، وعمل مع عمه الشريف عبد الله باشا أثناء إمارته في مكة، كما أسند له مهام الإمارة في أطراف الحجاز فأكسبته معرفة بالقبائل القاطنة في غربي الجزيرة العربية وعشائرها وأخلاقها وأحوالها. قال عنه الزركلي أنه: " عنيد شديد لا ينقاد بالعنف ويصعب أن ينقاد باللين". الزركلي، خير الدين، ما رأيت وما سمعت، المطبعة العربية، مصر 1343هـ/ 1923م، ص. ص 112 -113؛ السمو، بشير حسن، السياسة العثمانية تجاه ولاية الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، جامعة آل البيت، المفرق، رسالة ماجستير، الأردن 1440-1441هـ/ 2018-2019م، ص 97.

(2) حصل خلاف بين الاتحاديين والسلطان عبد الحميد فيمن يتولى إمارة مكة بعد استقالة الشريف علي بن عبد الله ولجوئه لمصر، حيث عاد الصراع بين أسرة آل عون ويمثلهم الشريف: الحسين بن علي، وبين أسرة آل زيد ويمثلهم الشريف: علي حيدر، وهذا الأخير سعى الاتحاديون لتوليته المنصب لميوله لهم، ولكن الشريف الحسين بن علي طالب بحقه في الإمارة لأنها كانت لعمه؛ ولذلك فهو أحق بها؛ ومن ثم كانت من نصيبه. السمو، المرجع السابق، ص 98.

(3) حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد 1423هـ / 2002م، ص 316.

(4) كان الخلاف بين الأسرتين قائمًا في كثير من الأحيان، وعندما توفي الشريف عبد الله بن محمد تولى الإمارة الشريف حسين بن محمد ثم الشريف عبد المطلب بن غالب للمرة الثانية والذي يعود لآل زيد ثم عادت إلى آل عون متمثلة بالشريف عون الرفيق (عم الشريف الحسين بن علي)، ولكن الشريف الحسين بن علي وقف ضده وعارضه وتذرع بعدم احتوائه للقبائل وحل النزاعات التي تنشب بينها، وحل مشكلة اعتداءات بعضها على الحجاج، كما كان معارضًا للحالة التي وصلت إليها مكة من ضعف أمني وانتشار الفوضى والفتن؛ فاشتكاه الشريف عون إلى السلطان الذي قام باستدعائه عام 1311هـ / 1893م ليقيم عنده في إستانبول مستشارًا له، وبقي في إستانبول خمسة عشر عامًا حتى توليه إمارة مكة. بيكر، راندال، مملكة الحجاز، ترجمة: صادق عبد علي الركابي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1425هـ/ 2004م، ص 26- 27؛ السمو، المرجع السابق، ص. ص 97- 98.

(5) المومني، نضال داؤود، الشريف حسين بن علي والخلافة، منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، عمان 1417هـ/ 1996م، ص 32. ؛ القثامي، أريج مسحل، مكة المكرمة أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1429هـ/ 2008م، ص 175. ؛ الجاسم، نجاة عبدالقادر، الأشراف والعثمانيون في الحجاز في القرن التاسع عشر، بدون دار وتاريخ، 1418هـ/ 1997م، ص 57؛ حراز، السيد رجب، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، معهد البحوث والدراسات العربية, القاهرة, 1389هـ/1970م, ص 125.

(6) للتوسع في الاطلاع على خلاف الشريف الحسين بن علي مع حزب الاتحاد والترقي الحاكم في الدولة العثمانية. انظر: يوسف، عماد عبد العزيز، الحجاز في العهد العثماني 1876 . 1918م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق 1426هـ / 2005م، ص.ص 86 . 89.

(7) السمو، المرجع السابق، ص 98؛ يوسف، المرجع السابق، ص. ص 147- 148.

(8) السبول، خالد، الهاشميون من حكم الإمارة العثمانية إلى تأسيس الممالك العربية، دار الأهلية، عمان 1432هـ/ 2011م، ص. ص 80- 81. ؛ القثامي، المرجع السابق، ص 176. ؛ المومني، المرجع السابق، ص. ص 32- 33، 46.

(9) السمو، المرجع السابق، ص 89. ؛ يوسف، المرجع السابق، ص 148.

(10) السمو، المرجع السابق، ص 89.

(11) القثامي، المرجع السابق، ص. ص 176- 177.

(12) المومني، المرجع السابق، ص 48.

(13) الردادي، سعد عودة، أمن الحج قبل العهد السعودي، دار المآثر، المدينة المنورة 1429هـ/ 2008م، ص 284.

(14) البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مطبعة الجمالية، مصر، 1329هـ/ 1911م، ص 52.

(15) يوسف، المرجع السابق، ص 149.

(16) المومني، المرجع السابق، ص 46.

(17) ذكرت جريدة الاتحاد العثماني أن الأمن الذي شهده الحجاز عام ١٣٢٨هـ/ 1909م، لم يشهده منذ سنين عديدة. المومني، المرجع السابق، ص 48.

(18) المرجع نفسه، ص ٤٨48.

(19) المومني، المرجع السابق، ص. ص 48- 49.

(20) السمو، المرجع السابق، ص 97.

(21) المومني، المرجع السابق، ص 48.

(22) السمو، المرجع السابق، ص 98.

(23) وافل، آرثر جون، رحلة الحاج المعاصر إلى مكة، ترجمة: ريم بو زين الدين، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي 1432هـ/ 2011م، ص. ص186، 190- 191.

(24) القثامي، المرجع السابق، ص 178.

(25) من ذلك أنه سير في عام 1329هـ/ 1911م حملة ضد محمد بن علي الإدريسي في بلاد عسير، وعقد اتفاقية (دعان) في اليمن عام 1329هـ/ 1911م بين ممثل الدولة العثمانية وبين الإمام يحيى بعد محاولته الثورة ضد الدولة العثمانية. غوانمة، يوسف، الحسين بن علي الملك والثأر، دار الفكر، عمان 1415هـ/ 1995م، ص 15. ؛ السمو، المرجع السابق، ص. ص 88، 100.

(26) السمو، المرجع السابق، ص. ص 87- 88.

(27) المومني، المرجع السابق، ص 46.

(28) القثامي، المرجع السابق، ص 129.

(29) المومني، المرجع السابق، ص 47.

(30) يوسف، المرجع السابق، ص 152.

(31) القثامي، المرجع السابق، ص 129.

(32) القثامي، المرجع نفسه، ص 130.

(33) المرجع نفسه، ص. ص 129- 130

(34) نفسه، 131.

(35) الأرشيف العثماني، نظارة الحربية، وثيقة رقم (BEO 3689 – 276668-3-1)، وتاريخ 3 محرم 1328هـ/ 14 يناير 1910م.

(36) يوسف، المرجع السابق، ص 150. ؛ القثامي، المرجع السابق، ص. ص130- 131.

(37) يوسف، المرجع السابق، ص 150.

(38) انظر أحداث هذه الحرب مختصرة عند: الحربي، نورة بنت مصلح، موانئ الحجاز في عهد الشريف الحسين بن علي 1326- 1343هـ/ 1908- 1925م، دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، بريدة 1443هـ/ 2021م، ص. ص 34-37.

(39) بلسود، سميرة مبارك، ميناءا ينبع ورابغ فيما بين عامي (1256-1373هـ/ 1840-1954م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1430هـ/ 2009م، ص208. ؛ الحربي، المرجع السابق، ص35.

(40) وثيقة رقم: BEO 3960/296956، صورة البرقية المؤرخة بتاريخ: 23 تشرين الأول سنة 1327، الأرشيف العثماني، نظارة الداخلية.

(41) وثيقة رقم: BEO 3961/297049، وتاريخ 18 ذي القعدة 1329هـ/ 27 تشرين الأول سنة 1327، الأرشيف العثماني، دائرة الصدارة،.

(42) الحربي، المرجع السابق، ص35.

(43) وثيقة رقم: BEO 3961/ 297018، وتاريخ 26 تشرين الأول 1327، الأرشيف العثماني، الباب العالي، دائرة الصدارة.

(44) الحربي، المرجع السابق، ص 35.

(45) وثيقة رقم BEO 3962/297081، وتاريخ 26 تشرين الأول سنة 1327، الأرشيف العثماني، دائرة الأركان الحربية العامة.

(46) وثيقة رقم BEO 3986/298909، وتاريخ 16 محرم 1330هـ/ 24 كانون الأول سنة 1327، الأرشيف العثماني، دائرة الصدارة، قسم المكتبات.

(47) وثيقة رقم BEO 3987/298976، وتاريخ 18 محرم 1330هـ/ 26 كانون الأول سنة 1327، الأرشيف العثماني، دائرة الصدارة، قسم المكتبات.

(48) وثيقة رقم BEO 4015/301109، وتاريخ 26 ربيع الأول 1330هـ/ 3 مارس سنة 1327، الأرشيف العثماني، دائرة الصدارة، قسم المكتبات.

(49) وثيقة رقم BEO 4030/302200، وتاريخ 1 جمادى الأولى 1330هـ/ 5 نيسان 1328، الأرشيف العثماني، دائرة الصدارة، قسم المكتبات.

(50) القثامي، المرجع السابق، 131.

(51) الزركلي، المرجع السابق، ص 114.

(52) وهيم، طالب محمد، مملكة الحجاز (1916-1925م)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، البصرة 1402هـ/ 1982م، ص20.

(53) موسى، سليمان، الحركة العربية، دار النهار للنشر، بيروت 1406هـ/ 1986م، ص 75.

(54) القثامي، المرجع السابق، ص 132.

(55) المرجع نفسه، ص. ص 178، 184.

(56) أبو هيكل، عبدالعليم علي، دور القبائل الحجازية والشامية في الثورة العربية سنة 1916م، المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة يناير 1988م، ص 272. ؛ السكاكر، المرجع السابق، ص 141.

(57) أبو هيكل، المرجع السابق، ص 273. ؛ السكاكر، المرجع السابق، ص 141.

(58) السبول، المرجع السابق، ص 77. ؛ القثامي، المرجع السابق، ص 129.

(59) السمو، المرجع السابق، ص 88.

(60) الزركلي، المرجع السابق، ص 114.

(61) المومني، المرجع السابق، ص 56. ؛ السبول، المرجع السابق، ص 46.

(62) القثامي، المرجع السابق، ص 178.

(63) يوسف، المرجع السابق، ص. ص 160- 161.

(64) ضابط الماني، من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، عرف بالصلافة والشدة. يوسف، المرجع السابق, ص 161.

(65) صابان، سهيل، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1425هـ/ 2004م، ص 228.

(66) المومني، المرجع السابق، ص 52.

(67) السبول، المرجع السابق، ص 46. ؛ القثامي، المرجع السابق، ص 180. ؛ يوسف، المرجع السابق، ص 162.

(68) يوسف، المرجع السابق، ص 163.

(69) هناك وثيقة بتاريخ 1329هـ/ 1911م عبارة عن برقية بعثها علماء مكة المكرمة إلى الباب العالي يطالبون بإيقاف الإجراءات التي يعمل بها الوالي، وبقاء الامتيازات التي كانت لأهالي الحجاز منذ عهد السلطان سليم الأول، وأن الأهالي خرجوا بمظاهرات مؤيدين الشريف الحسين بن علي. القثامي، المرجع السابق، ص 181.

(70) القثامي، المرجع السابق، ص. ص 181- 182. ؛ عماد، المرجع السابق، ص. ص 162- 164.

(71) القثامي، المرجع السابق، ص 185.

(72) انظر المراسلات والوثائق المتبادلة بين الشريف الحسين بن علي وبين مكماهون عند: صفوة، نجدة فتحي، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، مج 1، ط1، دار الساقي، بيروت 1996م، ص.ص 504-652.؛

الشناوي، عبد العزيز محمد، يحيى، جلال، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصرة، دار المعارف، القاهرة 1969م، ص.ص 80-154.

(73) الحسين: عبد الله: مذكراتي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1409هـ / 1489م، ص. ص41-42.؛ انطونيوس، المرجع السابق، ص 571؛ وهيم، المرجع السابق، ص33.

(74) السمو، المرجع السابق، ص 100.

(75) القثامي، المرجع السابق، ص 178.

(76) كان الشريف أثناء اتصالاته مع الإنجليز لم يقطع اتصالاته مع الدولة العثمانية حتى لا يثير شكوكها ضده ومن هذه الاتصالات إرسال ابنه فيصل بن الحسين إلى الآستانة ليطمئن الصدر الأعظم ورجال الدولة العثمانية بأن والده محافظ على طاعته للسلطان، كما أنه في طريق عودته من الآستانة مرَّ بدمشق فاتصل في أواخر مايو 1915م بجمال باشا . الذي استقبله واحتفى به بناء على تعليمات حكومته . فكرر معه الكلام الذي ذكره للصدر الأعظم = وبعض رجال الدولة بقصد صرف نظره هو الآخر عن اتصالات والده مع الإنجليز، فمضى معه إلى القدس، وحل ضيفًا في مقر قيادة الجيش، ثم زار ميناء سيناء، وخطب في المأدبة التي قدمت لتكريمه، واشترك فيها الضباط والقادة ومما قاله: يجب على الأمة الإسلامية أن تشترك في الجهاد، وأنا ذاهب إلى الحجاز لأعود على رأس جيش كبير من المتطوعين، كما أخبر جمال باشا عن ولائه وعائلته للدولة العثمانية، ووعده بالعودة إلى دمشق على رأس 1500 متطوع. انظر: باشا، جمال، مذكرات جمال باشا، ترجمة علي أحمد شكري، تحقيق عبد المجيد محمود. مطبعة البصري. بغداد، 1963م، ص 234. ؛ سعيد: أمين: الثورة العربية الكبرى، مج 1، مكتبة مدبولي، مصر، بدون تاريخ ، ص 111. ؛ السكاكر، المرجع السابق، ص 133.

(77) زنجير، محمد رفعت أحمد، في لطريق الى مكة المكرمة، دورية كان التاريخية، السنة 3, العدد 10، 2010م، ص6.

(78) نصيف، المرجع السابق، ص 101.

(79) المرجع نفسه، ص 101.